

سمات الذوق العام في التصميم الداخلي للدور السكنية المعاصرة في مملكة البحرين

عدي علي الجبوري

قسم التصميم والفنون، جامعة العلوم التطبيقية، مملكة البحرين

<https://doi.org/10.37575/b/eng/2018>

الملخص

لا تزال العمارة تحفز الذوق وحواسه جنباً إلى جنب مع حاسة الإبصار؛ إذ يعمل الذوق موجهاً لسلوكيات الفرد اعتماداً على مرجعية معينة تقع في البنية الذهنية له؛ لذلك فالذوق يتوسط بين العلاقات الموضوعية والسلوكيات الفردية، ولأنه كذلك فهو يضفي الشرعية على الترتيبات والتمايز (الطبقي، الرمزي، الثقافي) دون حدوث أي صدام ظاهري بين الطبقات. على الرغم من أن تميز الذوق هو متناقض بطبيعته، لكن له ميزة التوفيق بين أي تباعد بين التفضيلات الآنية (المودة/ الموضة) والنتاج الذي ينظر إليه حقاً كجزء من ذوق بارز. من هنا فإن هذا البحث يناقش سمات الذوق العام للتصميم الداخلي للدور السكنية المعاصرة في مملكة البحرين بهدف الكشف عن أبرز السمات التي تشكل الذائقة العامة في التصميم الداخلي وصولاً إلى تحديد الفروقات الذوقية بين التصاميم التي تُنجز من قبل الأفراد، والأخرى التي تُنجز من قبل شركات التطوير العقاري. وقد توصل البحث بعد إجراء مسح ميداني لـ (42) مسكناً من مناطق مختلفة في مملكة البحرين وتحليلها إلى تحديد فروقات جوهرية فيما بين الاثنين؛ حيث أدت العلاقة مع الماضي دوراً محورياً في هذا التمايز. وأوصى البحث بالإفادة من نتائجه في المحافظة على الهوية المحلية وتعزيز الفرص التجارية لشركات التطوير العقاري.

الكلمات المفتاحية: الذوق المعماري، سجية، عمارة داخلية.

المقدمة

تناولت المساكن وتصميمها بشكل عام، إلا أنها لم تتطرق للتصميم الداخلي أيضاً إلا بشكل عام، كما في دراسة (Fuccaro 2000) حول عمارة البحرين وتاريخها، ودراسة والي (1992) «نهج البواطن لعمارة المساكن» التي تحدثت عن العلاقة بين عمارة المسكن البحريني وتأثيرات البيئة والثقافة والتداول الحضاري في تشكيلها، وركزت على موضوع الفناء الداخلي. وفي دراسة والي (1990) حول مدينة المحرق، وعنوانها: «المحرق .. عمران مدينة خليجية» وركزت بشكل أكبر على المساكن التراثية للمدينة بوصفها جزءاً من مفردات اللغة العمرانية. بينما ركزت دراسة المحاري (2017) وعنوانها «حفظ المباني التاريخية» على مواد البناء وتقنيات الإنشاء وأساليب الحفاظ على المباني التراثية في مملكة البحرين.

الهدف من البحث

هدف البحث إلى الوقوف على سمات الذوق العام للتصميم الداخلي للدور السكنية في مملكة البحرين، ومعرفة مدى مناسبة ما تصممه شركات التطوير العقاري من دور سكنية لذائقة المجتمع البحريني. ولتحقيق ذلك سعى البحث لبناء إطار نظري واضح وشامل لمفهوم الذوق العام في التصميم الداخلي، يُتيح تحديد أبرز العوامل المؤثرة على تشكيل الذوق العام وصولاً إلى أهم المؤشرات

إن المجتمع البحريني بانفتاحه على العالم كان عرضة لمؤثرات ثقافية مختلفة أسهمت في تنوع النتاج المعماري والتصميم الداخلي في المملكة؛ حيث تشكل الهندسة المعمارية والتصميم الداخلي قناة يستخدمها الناس للتعبير الثقافي (الرمزي). فكل إنسان في العادة يطمح لبناء منزل وتشكيل بيئة داخلية ذات مغزى، معبرة عن ذوقه ورؤيته الجمالية بغض النظر عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي يحيط به، كما أدت شركات التطوير العقاري في مملكة البحرين من خلال استثماراتها الواسعة في تشييد الدور السكنية دوراً في ذلك. لكن يبقى السؤال الرئيس، هل مساهمات هذه الشركات كانت تنسجم مع الذوق العام البحريني فيما يتعلق بالتصميم الداخلي للدور السكنية؟ وما سمات هذا الذوق؟ وما العوامل المؤثرة في تشكيله؟ هذه الأسئلة هي شكلت دافعا للقيام بهذا البحث.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في مساهمته في فهم سمات الذوق العام المعاصر في التصاميم الداخلية للدور السكنية؛ حيث إن هذه الصفات التي تجمع أذواق أفراد هذا المجتمع لا تزال غير مدروسة في المجتمع البحريني على الرغم من وجود دراسات

رغبته في أن يتخذ من التصميم موضوعاً قيمياً، يقوم بإصدار حكمه عليه بوصفه مسعى عقلاً نياً جاداً للمصمم (نوبلر، 1987)، وهكذا فإن تجربة التذوق تترجم كإشارة في العقل من خلال تقويم عميق (Scruton, 1979). فالذوق هو ناتج عن تفاعل المنطق (بوصفه ملكة عقلية) وما هو مكتسب من البيئة المحيطة بالشخص (بوصفة حاسة معنوية) يُستخدم للحكم على المحيط الذي يتفاعل الإنسان ضمنه، ويحدد ما يفضله استناداً إليه، فهو يمزج بين الإحساس بالمتعة والرضا.

الذوق والمجتمع / كسجية (ملكة)

يشير Pierre Bourdieu عالم الاجتماع والفيلسوف الفرنسي إلى أن السجيا (habitus) تكتسب منذ الطفولة؛ لذلك فهي تتسم بالديمومة (Bourdieu, 1990) (Turner and Edmunds, 2002)، وهي ضرورة داخلية تتحول إلى تصرف يولد ممارسات ذات مغزى ويمنح معنى للمفاهيم، وهي تشكل العلاقة بين قدرتين: القدرة على إنتاج الممارسات والأعمال القابلة للتصنيف، والقدرة على التفريق بين هذه الممارسات والمنتجات (أي الذوق). فالذوق بوصفه السجيا (habitus)، بحسب بورديو، أو أسلوب حياة النخبة الثقافية، هو تصنيف، وهو يُصنف المصنف ذاته، فالذوق لديه الميل والقدرة مادياً ورمزياً على وضع درجات للتصنيف ثم يصنف فئة معينة من الأشياء والممارسات (Bourdieu, 1984). حيث يُعد التمييز بين الثقافة العالية والمنخفضة واحداً من التصنيفات الحديثة الأكثر انتشاراً للأذواق ذات المصادقية العالية. فالمجتمع يُصنف إلى ثلاثة هيئات مرتفعة highbrow ومتوسطة middlebrow ومنخفضة Lowbrow؛ فالمرتفعة هي سمة للطبقة المسيطرة أو البرجوازية، والمتوسطة هي سمة لذوق ثقافة متوسطة تتكون من الطبقة الوسطى من البرجوازية الصغيرة، والمنخفضة أو «الذوق الشعبي» هي سمة لتلك التي في أدنى مستوى لها، ثقافياً أو اقتصادياً. ويضيف بورديو أن هذه التسمية لا تُشير ببساطة إلى أهمية اجتماعية أو جمالية تقسم الناس إلى فئات وأصناف، ولكن هي ليست سوى تمثيل للذوق الحقيقي (Bourdieu, 1990). هذه الفئات الذوقية هي مجموعات من الأشكال الثقافية واضحة في الفن، والترفيه، والهندسة المعمارية، والسلع الاستهلاكية وغيرها التي تجسد

التي يتم على أساسها تحديد السمات الذوقية للتصميم الداخلي. ثم ينتقل البحث إلى تطبيق هذا الإطار على عينة من التصاميم الداخلية للدور السكنية في مملكة البحرين التي يقوم بها الأفراد وشركات التطوير العقاري لتحديد خصوصية كل منها. ويشير Hancock (1998) إلى أن منهجية دراسة الحالة المتعددة تقدم ثراءً معرفياً لا تقدمها أية وسيلة أخرى، ويمكنها أن توضح كيف يمكن لمجموعة معقدة من الظروف أن تجتمع لإنتاج مظهر معين. وقد جمعت البيانات لغرض تحليلها عبر المسح الميداني لشريحة من التصاميم الداخلية للدور السكنية المعاصرة (أنشئت من بعد عام 1990)، ومن مختلف محافظات مملكة البحرين.

الذوق والتذوق الجمالي

الذوق هو ملكة الروح التي تتنبه إلى مظاهر الجمال وتستجيب لها من خلال السرور، وتتنبه إلى مظاهر عدم الاكتمال، وتستجيب لها من خلال الكراهية أو عدم التفضيل (عبد الحميد، 2001). ويدل مصطلح الذوق العام على مجموعة تجارب الإنسان التي يُفسر على ضوءها ما يُحسّه أو يُدركه من الأشياء (عمر، 2008). لقد شغل مصطلح الذوق الفلاسفة والمفكرين منذ أفلاطون، فكانت كتابات Kant عن الأحكام الذوقية، و Hume حول قواعد الذوق، بينما تناولت كتابات Herbert Read و Peaceck و Eric Newton الحديث عن آليات التذوق وأدواته الحسية. ويعتد Burke من أبرز ما كتب في هذا المجال من ناحية فلسفية جمالية، فوفقاً لـ Burke يُمثل الذوق على أنه حكم الجمال المعصوم، وهو الملكة العقلية التي نحكم من خلالها على قيم الفنون ومنتجات الخيال التي تعود في أصلها إلى الحواس التي ندرك بها ما يحيط بنا في العالم الخارجي (إسحق، 1947، 107).

إذ يُمثل التذوق الجمالي القدرة على تمييز الشيء الجميل من الشيء العادي، أو القدرة على استنباط كل ما هو جميل في الفن أو الطبيعة، أو نمو حساسية الفرد بحيث يستطيع أن يستجيب لأنواع مختلفة من العلاقات. ويشير ماير إلى أنه نمط مركب من السلوك يتطلب في جوهره إصدار أحكام على قيمة شيء أو فكرة موضوع من الناحية الجمالية (أبو حطب، 1973). وشاغل الفضاء الداخلي بوصفه متلقى له ومن خلال

بأنها: «حلى مالطية Maltese nougat مع طعم جوز الهند أو قشر البيض» (Tschumi, 2006). لكن مع ذلك تبقى مناقشات موضوع الذوق في العمارة محدودة؛ حيث يقول Frascari أن المنظرين المعماريين بالكاد ناقشوا الذوق والعمارة المعاصرة، وقد حُكم الذوق المعماري بالمعايير الأخلاقية للحركة الحديثة مما جعل العمارة بلا معنى (Frascari, 1986). ومنذ ذلك الحين تم إبطال «الذوق» كقاعدة محتملة للإنتاج المعماري، ونتيجة لهذا الاتجاه، ومن باب المفارقة الأيدلوجية المترتبة لحركة الحدائثة، ظهرت حالة ما بعد الحدائثة التي هيمنت عليها المعالجات البصرية للمعاني المقترحة، وجرت العمارة بعيداً عن أية متعة فيما عدا الاستخدام أو الإدراك (Powers, 2010). وخلاصة الأمر أنه هناك مدرستين لتذوق العمارة؛ مدرسة تعتقد أن العمارة كشيء يرد على فكرنا، في حين ترى المدرسة الثانية الجانب الآخر كشيء يرد على حواسنا. على سبيل المثال، تصميم النوافذ التي تقع في أعلى المبنى، التي من المرجح أن ينظر إليها من خلال السؤال التالي: هل من المهم جمالياً أنها مربعة أم مجرد أن تبدو مربعة؟ هذا السؤال هو صدى لبعض مناقشات عصر النهضة الرائعة حول الذوق المعماري (Wittkower, 1998).

العوامل المؤثرة في تكوين الذوق العام

لقد قادت الدراسات والتعاريف السابقة التي تناولها هذا البحث إلى تحديد ثلاثة عوامل رئيسة مؤثرة في تكوين الذوق العام هي: العامل الفكري المتمثل في الأعراف والتقاليد والحضارة، والعامل المادي المتمثل في العناصر التصميمية والجانب التكنولوجي والتقني، والاعتبارات الجمالية. وفي الجزء التالي من البحث سيتم توضيح هذه العوامل بشكل معمق بما يتيح الوصول إلى مؤشرات محددة يمكن اعتمادها لأجراء الدراسة العملية.

أولاً: العامل الفكري / الأعراف والتقاليد والحضارة يشير Fishner إلى أن الذوق يتأثر بالاستعدادات البيولوجية المسبقة للأفراد إلى جانب تأثره بالتربية والتعليم، ويمثل قوة النفس التي تجعلها تحب أو تكره ما يواجهه المرء من أشياء (Funch, 1997)، والتي يكتسبها المرء عن طريق المشاركة في حياة المجتمع لفهم وتقدير الجميل والقيح. إن عملية

قيماً مماثلة ومعايير جمالية (Gans, 1996). فالذوق ينظر إليه على أنه أداة للتصنيف يستخدمها المجتمع لتصنيف ما هو جيد وسيء، مرتفع ومتدنٍ، والذي بدوره يصبح أداة لتصنيف المجتمع أو تقسيمه إلى فئات أو مستويات.

الذوق والعمارة

لقد تم النظر إلى الذوق من قبل الأشخاص الذين تبناوا مفهوم الأحكام الذوقية على أن له دور القواعد في العمارة، واعتبروا أن مجرد المساس بها أو البناء بشكل مغاير عنها مؤثر لسوء الأدب والسلوك، بينما أشار Lethaby إلى أن سبب تطور العمارة الغوطية يعود لكونها نبعت من مواضيع تكنولوجية و مواد البناء، بينما فقدت عمارة النهضة مصداقيتها بسبب تركيزها على المعرفة والذوق (Watkin, 1977). وفي السياق ذاته نجد موقفين مختلفين من الذوق / الجمال لأشهر منظرين، وهما Giedion و Scott، فمن جهة Giedion فقد كره عصر النهضة ودافع بقوة عن الحدائثة، في حين مال Scott أسلوبياً نحو الباروك، مفضلاً إياها على الحدائثة (Kite, 2001)؛ إذ يؤكد سكوت أن ذوق الباروك هو في أعلى درجة من درجات إثارة الاهتمام؛ بسبب النهج النفسي الواضح لمشكلة التصميم، فهو متحرر من المسلمات «taboos» الميكانيكية والأكاديمية، باحث عن الحركة والتشكيل الكُتلي والقيم المكانية (Scott, 2010)، وكل من وجهتي النظر هاتين شكلتا مفهومنا عن العمارة والتصميم الداخلي.

إن العديد من المدارس الفكرية لم تنظر للذوق في العمارة كشفرة مكانية؛ بل ناقشت الذوق من ناحية الذواق (متذوق الطعام)، وقد كان Jacques Blondel من أوائل المنظرين المعماريين الذين ناقشوا الذوق من وجهة نظر ذواق الطعام، إذ عرّف الذوق بأنه ثمرة المنطق، وتسلسل الحكم السريع الذي يحقق المرء من خلاله نتيجة غير بديهية، وهي النتيجة نفسها التي يولدها متذوق الطعام الذي يتولى تحضير الطعام (Frascari, 1986). وعلى الرغم من أن التشابه بين فن الطهو والعمارة ليس تفسير اشتقائي خيالي فقط، لكنه لا يزال قائماً حتى اليوم، فكنيسة ريتشارد ماير في Tor Tre Teste في روما، المكونة من ثلاث قشور منحنية ومتراكبة فوق بعضها وُصفت

ثانياً: العامل المادي / العناصر التصميمية والجانب التكنولوجي والتقني

يشير لوكوربوزيه إلى أن المعمار بترتيبه للأشكال يوجد نظاماً يعبر بشكل صميمي عن روحته وسجيته وذوقه، وهو بأشكاله يؤثر على أحاسيسنا بدرجة مرهفة ويثير فينا العواطف، والعلاقات التي يوجدها يوقظ فينا أصداء عميقة (هونت، 1978). فبعض القطع كانت تشكل فيما مضى جزءاً من الحاجة الوظيفية في حينها، بينما تحولت الآن إلى عناصر ذات قيمة جمالية وعاطفية لما تحمله من ذكريات، مثل أعمال السجاد والمصنوعات اليدوية المتنوعة التي تستخدم كعناصر تزيينية وتكميلية للتصميم الداخلي. حيث تميزت العمارة الداخلية التقليدية للمساكن في البحرين بسقوف من العوارض الخشبية المكشوفة ذات اللون الأحمر (جدوع الجندل) يعلوها أحزمة متقاطعة بالأبيض والأسود من البامبو. تبعه في وقت لاحق نمط يقوم في الأساس بتغطية التركيبة السابقة بألواح خشبية ذات ألوان ورسومات هندسية مختلفة. إلى جانب ذلك تميزت العمارة التقليدية باستخدامها للنوافذ الخشبية ذات الحماية المعدنية، كما استخدم الزجاج الملون على شكل مروحة في أعلى النوافذ كدلالة على الثراء (المحاري، 2017). فكل مادة تتحدث لغة خاصة بها، ولكل مادة قصة خاصة بها، حيث يؤكد Frank Lloyd Wright أن الشعور الذي يكمن في المادة يماثل قيمة الروح لدى الجسد، ومن صميم عمل الفنان أن يكتشف هذه الروح. فالحجارة لها شعور متفاوت بالصلابة، فبين حجر البازلت الشديد الصلابة إلى الحجر الرملي سهل التشكيل تتفاوت مشاعر وأحاسيس دفيئة، بينما يمتاز الخشب بكونه أخف وأنعم وأكثر ترحيباً منها (Vitruvius, 1960). من ناحية أخرى تسهم العوامل التكنولوجية وقوانين الطبيعة الفيزيائية وخصائص المواد الحديثة في تحديد هيئة عمارة المستقبل وستساعد على نبذ العمارة المعتمدة على الديكور السطحي (Nervi, 1966)، وبالتالي ستؤدي التكنولوجيا والتقنيات المرافقة لها ضغطاً على ذائقة المجتمع من خلال التطورات التي تُحدثها في منتجاتها بشكل مستمر، مما يولد صراعاً داخلياً بين الجانب الذاتي للإنسان الذي يسعى لتجسيد مشاعره، وبين الجانب التقني الذي يسعى للسيطرة على قوى الطبيعة، والذي ينعكس حتماً في الاختيار وفق الاعتبارات الذوقية (Mumford, 2000).

تذوق الشيء في الحاضر نُحِلُّنا إلى ما قبل الآن وما بعد الآن، فيما ندركه في اللحظة الحاضرة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما سبقه ويشير توقعاً لما سيأتي (ستولتزر، 1974)، فحب الماضي هو عاطفة يشعر بها المرء وتؤثر بدورها على تقييم الأعمال استناداً إلى مرجعيتها التاريخية التي يمكن أن ترتبط عاطفياً (حبا أو نفورا) بذاتية المقيم (إسماعيل، 1986). فالتصميم وتذوقه يترابطان بفضل الذاكرة والخيال، ويكتسب بذلك معناه، فالجميل يعبر عن حاضر ناتج عن ماضٍ له مستقبل (ستولتزر، 1974)، وعملية الترابط هذه تشكل وعينا بالزمن الذي يُمكننا من رؤية ترابط الأجزاء المتعددة للموضوع التصميمي مع بعضها البعض عوضاً عن تركها كجزر مفككة. إن الموقف إزاء ذوق الماضي قد يكون مفهوماً نابعاً من صميم القلب، بخلاف ذوق الحاضر الذي يشكل جزءاً مكتملاً لنفس الشخص والمجتمع (Eric, 1962). فهناك لا وعي جمعي وشمولي عام يربط الإنسان بماضيه البدئي، وبتجاربه التي ينتقل زخمها من جيل إلى آخر مما يسهم في بلورة نتاجاتهم ضمن عصر من العصور ويشكل ملامح أسلوب تلك الفترة. فعلى سبيل المثال نجد أن المجتمع الإغريقي اعتمد مبدأ التناهي Finite في رموزه وأسلوبه، ومبدأ التوافق والتجانس مع البيئة، فجاءت الموجودات المادية منسجمة فيما بينها من ناحية الطراز والمقياس محققة مبادئ المساواة، والعدالة، والديمقراطية. بينما امتازت رموز المجتمع الروماني بالسلطة والسطوة، من خلال المبالغة في المقياس على صعيد العمارة وفضاءاتها الداخلية للتعبير عن الفخامة والهيبية (Declan and Maegrit, 1987). كما عكست المستوطنات السكنية لحضارة دلمون (220-1800 ق.م) في البحرين رفاهية المجتمع وغناه، عبر عمارتها وعناصرها ذات فتحات الأبواب العملاقة (المحاري، 2017)، من ناحية أخرى أسهم النمو السريع لتجارة اللؤلؤ، وما تلاها من ظهور صناعة النفط خلال القرون 18-20 إلى نمو سريع في الداخل البحريني، وظهور سوق خاص بالعمال المهرة وتجارة البنائين، واستيراد الأدوات والمكونات الجديدة (مثل مقابض الأبواب) والمواد (مثل الزجاج الملون وقضبان الحديد والأسمنت البورتلاندي) (Yarwood, 1999) مما انعكس على انفتاح ذوق المجتمع وتقبله للآخر.

ثالثاً: الاعتبارات الجمالية

إن الاعتبارات الجمالية في مجتمع ما يمكن لها أن تتأثر بالعايير السائدة خلال تلك الفترة التي تشكل الذائقة العامة للمجتمع بشكل تلقائي بكونها نمطاً سائداً. حيث يتأثر المتلقي بنوع التجربة التي يخوضها والوسط الذي تتم فيه، وخبرة الفرد وخلفيته الفكرية إلى جانب تكرار التجربة. وهذا بمجمله ما يؤثر على تكوين ملامح الذوق الخاص بالأفراد، وهو ما يشكل السجية *habitus* التي تحدث عنها بورديو قائلاً إنها: «نسق الاستعدادات المكتسبة وتصورات الإدراك والتقويم والفعل التي طبعها المحيط في لحظة محددة وموقع خاص»، فالسمة الشخصية للذوق لا تولد بمعزل عن الذوق العام والذي يعتبر مُنتج الممارسات وأصل الإدراكات وعمليات التقويم، وهو مجموعة القواعد المولدة للممارسات، وهو ما يضيفي الشرعية على الترتيبات (الصراع الطبقي) والتمايز (العنف الرمزي والثقافي) دون حدوث أي صدام ظاهري بين الطبقات (وظفة، 2012). لقد أسهمت بنية المجتمع البحريني القائم على نمط العائلة الممتدة والذي انعكس على تصميم الدور السكنية خلال تاريخها في التوجه نحو الداخل وتجانسه مع نمط العائلة الممتدة حيث الآباء والأبناء في حيز مكاني واحد مشكلاً ما يعرف بالـ «الفريج» / الحي (والي، 1992) والذي أسهم بدوره في تشكيل تفضيلات جمالية تمتد بين أفراد هذا المجتمع المتقارب. وهكذا عندما سادت الحدائث في الذوق العام كان للمعيار الوظيفي (النفعي) أثر جلي في تحديد قيمها الجمالية، فسادت أفكار البساطة والاختزال والمنفعة والمناسبة لتأدية فعالية محددة في تحديد جمالية التصميم الداخلي. بينما اتجه المجتمع بذائقته نحو حرية التعبير عن الرغبات الشخصية عندما سادت أفكار ما بعد الحدائث وانتقل زمام المبادرة من المصمم إلى المستهلك، حيث كتبت كل من Mary Derieu و Isabelle Stevenson مشجعتين قرائهما: «لا تخش من أن تعطي تعبيراً عن ذوقك الخاص في انتقائك... إنه بيتك أنت» (Massey, 1990). ففي كثير من الأحيان تتحول الأنماط البنائية إلى رغبات *Fads* تبرز وتختفي بما يشبه الموضة؛ إذ تدخل التغييرات إلى المجتمع محدثة أثراً سريعاً في الذوق العام نتيجة تأثرها بالإعلانات وتقليد الآخر، ويحدث التغيير حُباً في التغيير ذاته، فما يشعر به الإنسان من إشباع حسي يدفعه دوماً لأن يبتكر طرقاً جديدة تمكنه من توسيع رقعة الإشباع

الحسي والمعنوي ورفع مستواه (Banz, 1970). وهنا نجد المصممين مسخرين للأسلوب وللملاءمة الأسلوب لوظيفة التصميم، حيث إن تصميم الجمال يشكل أداة ذات قوة هائلة (Palmer and Dodson, 1996).

الدراسة العملية

استند البحث في إجراء دراسته العملية على منهجية دراسة الحالة المتعددة بهدف جمع معلومات معمقة عن طبيعة الذوق العام للتصاميم الداخلية للدور السكنية المعاصرة في مملكة البحرين؛ إذ من شأن هذه المنهجية أن تُسهم في الوصول إلى نتائج جوهرية لما توفره من فرصة لإجراء دراسة معمقة في مواضيع محدودة المصادر تؤثر فيها مجموعة متعددة من العوامل والمتغيرات (Yin, 2009)، وهذا ما يناسب هدف البحث في الوقوف على سمات الذوق العام للتصميم الداخلي للدور السكنية في مملكة البحرين ويلائم قلة المعلومات في هذا السياق. لقد اعتمد البحث في جمع المعلومات على المسح الميداني (زيارات ميدانية، توثيق بالصور) لمجموعة متنوعة من الدور السكنية في مملكة البحرين التي أنشأها أفراد بعينهم بواقع (32) عينة، إلى جانب (10) عينات من الدور السكنية التي أنشأتها شركات التطوير العقاري؛ حيث شملت العينة في كلا الفئتين (الفلل) السكنية (المستقلة والمؤثثة)، التي تعود لفئات مجتمعية ذات دخل فوق متوسط إلى عال، كما راعى البحث في اختياره لعدد العينة أن يتلاءم مع واقع حال المملكة من حيث نسب كل من الفئتين في قطاع الإسكان، وينسجم مع هدف البحث في تحديد سمات الذوق العام للدور السكنية، ويُمكن من تحديد خصوصية توجهات كل منها. وقد تم تحديد مجموعة من المؤشرات التي جرى استخلاصها من خلال العوامل الثلاثة الرئيسة التي توصل لها البحث بوصفها العوامل المؤثرة على الذوق العام ضمت مؤشرات أساسية ثلاثة هي (الاعتبارات الجمالية السائدة والوافدة للمجتمع، وعلاقة التصميم الداخلي بالأصول، والخصائص التصميمية للفضاء الداخلي) إلى جانب (9) مؤشرات فرعية نُظمت في استمارة خاصة (جدول رقم 1). جرى تعريف أهم القيم الممكنة للمتغيرات المطروحة في ضوء تحليل البيانات التي تم جمعها من ميدان الدراسة وبما يُمكن من التعمق في دراسة العينات وبناء صورة عن أبرز خصائص الذوق العام للدور السكنية.

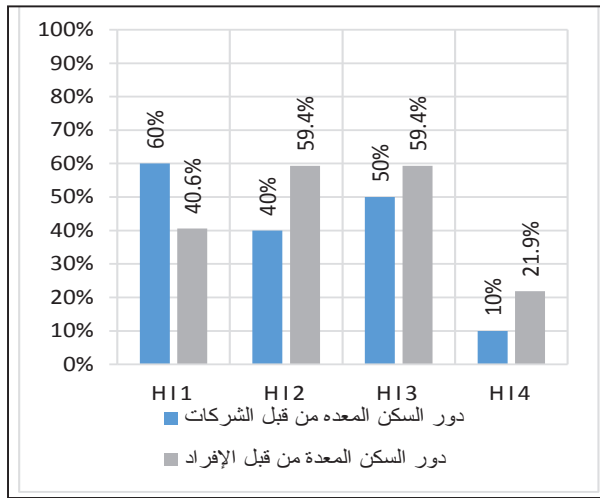
جدول رقم (1): المؤشرات الأساسية والفرعية للدراسة

الترميز	المؤشرات الفرعية	المؤشرات الأساسية	
BE1	المعيار الوظيفي / النفعي	الاعتبارات الجمالية السائدة والوافدة للمجتمع	
BE2	المودة / الموضة		
BE3	التكنولوجيا والتقنيات		
BE4	التعبير عن الرغبات الشخصية		
HI1	قطيعة مع الماضي / التحرر من المضامين الكلاسيكية	الموقف إزاء ذوق الماضي	علاقة التصميم الداخلي بالأصول
HI2	التواصل مع الماضي	مقدار الاستعانة بالتقاليد	
HI3	على مستوى الأجزاء (عناصر)		
HI4	على مستوى الكل (علاقات)		
CA1	أشكال محورة ومبسطة لنباتات وحشرات وحيوانات	سمات عناصر التصميم الداخلي	الخصائص التصميمية للفضاء الداخلي
CA2	تكرار الأشكال الهندسية		
CA3	أشكال مدججة		
CA4	المبالغة والتناقض (من حيث المقياس)		
CA5	بسيط وصریح (يدرك مباشرة)		
CA6	نقي ومجرد		
CA7	معقد ومتناقض		
FO1	هيئة عضوية	الهيئة العامة للمشهد الداخلي	
FO2	هيئة هندسية		
FO3	هياكل مركبة		
CO1	استخدام ألوان حركية (أحمر، برتقالي..)	طبيعة الألوان	
CO2	استخدام ألوان غير حركية (فاتحة)		
CO3	استخدام ألوان غير حركية (داكنة)		
LI1	إضاءة طبيعية	الإضاءة	
LI2	إضاءة صناعية		
LI3	توزيع الإضاءة بشكل هندسي		
LI4	توزيع الإضاءة بشكل عضوي		
TE1	استخدام مواد طبيعية (كالخشب)	طبيعة مواد الإنهاء	
TE2	استخدام مواد لامعة ومعادن		
TE3	المرج بين المواد الحديثة والتشكيلات التاريخية		
TE4	استخدام مواد صناعية (بورسلين.. إلخ)		
FU1	استخدام أثاث كلاسيكي	الأثاث والتأثيث	
FU2	استخدام أثاث حديث		
FU3	استخدام الحرف اليدوية لتشكيل الأثاث الداخلي		
FU4	أشكال بسيطة من مواد صناعية.		
FU5	أشكال غريبة للأثاث		
DE1	منسوجات مرتبطة بالعناصر الطبيعية	طبيعة الزخارف والمنسوجات	
DE2	منسوجات مرتبطة بالعناصر الهندسية		
DE3	تزيين مرتبط بالأسطح (بما فيها ورق الجدران)		
DE4	تزيين مرتبط بالهيكل الإنشائي		
DE5	استخدام النحت الجداري		

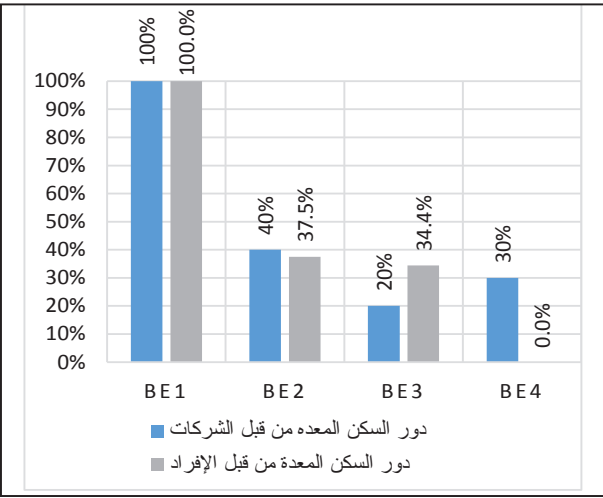
العناصر التقليدية في التصميم الداخلي بما يفوق الضعف مقارنة باهتمام شركات التطوير العقاري بالعناصر التقليدية (شكل رقم 2) مما عكس توأماً أكبر للأفراد بالتقاليد وتراث البلد مقارنة مع الشركات العقارية التي كانت تتعد عن تراث البلد باتجاه المودة/الموضة والتوجهات العالمية المُحدثة؛ فالموقف تجاه ذوق الماضي يكون في صميم قلب المتلقي والمستخدم، وهو ما يؤكد إريك (Eric, 1962) وينتقل هذا الزخم عبر الأجيال ليشكل ملامح الطراز الذي يفضل ذلك المجتمع.

نتائج الدراسة

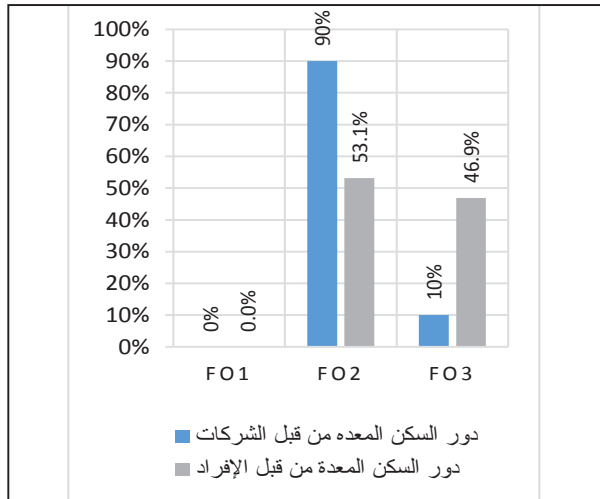
أظهرت نتائج الدراسة تأثير الذوق العام على صعيد الأفراد بالتكنولوجيا والتقنيات الحديثة بنسبة 14.4% أكثر مما هو عليه الحال في الدور السكنية التي أنشأتها شركات التطوير العقاري في مملكة البحرين (شكل رقم 1)، ومع ذلك، فقد كانت الاعتبارات الوظيفية والنعمية في مركز اهتمام كلا الفئتين، وهذا ما يتوافق مع تفسير آدموند بيرك Burke حول أن فكرة المنفعة أو المناسبة هي من مكونات الجمال الذاتي. كما تميز الذوق العام في الدور السكنية المعدة من قبل الأفراد بتوظيف



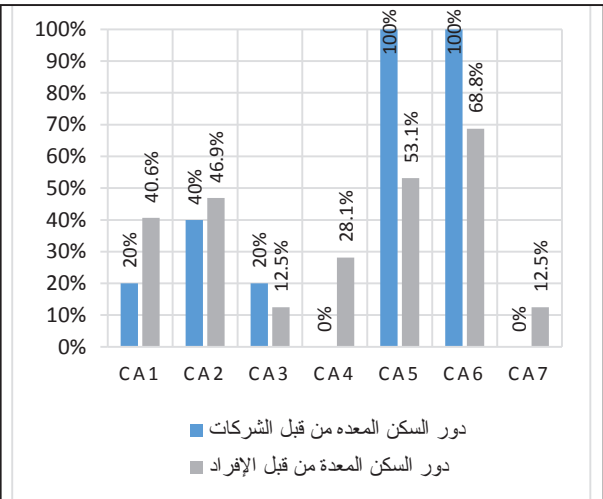
شكل رقم (2): نتائج سمات الذوق على صعيد علاقة التصميم الداخلي بالأصول



شكل رقم (1): نتائج سمات الذوق على صعيد الاعتبارات الجمالية السائدة والوافدة للمجتمع



شكل رقم (4): نتائج سمات الذوق على صعيد الهيئة العامة المشهد الداخلي



شكل رقم (3): نتائج سمات الذوق على صعيد عناصر التصميم الداخلي

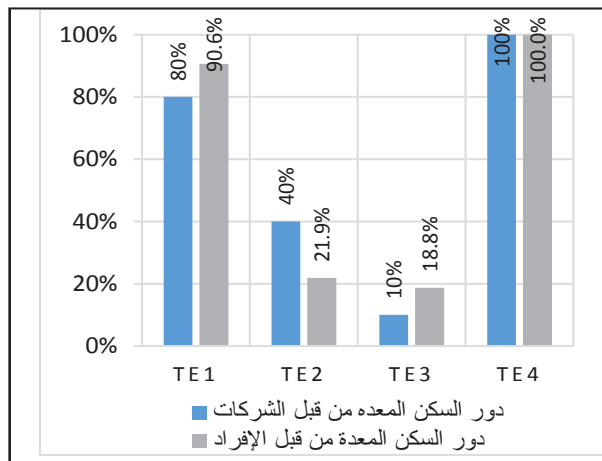
الفضاءات الداخلية لدور الأفراد، بينما كانت البساطة والتجريد والنقاء سمات ذوقية عامة

كما اتسمت التصاميم الداخلية بالتعبير عن ذوق عام ينسجم مع التعقيد والمبالغة والتناقض في

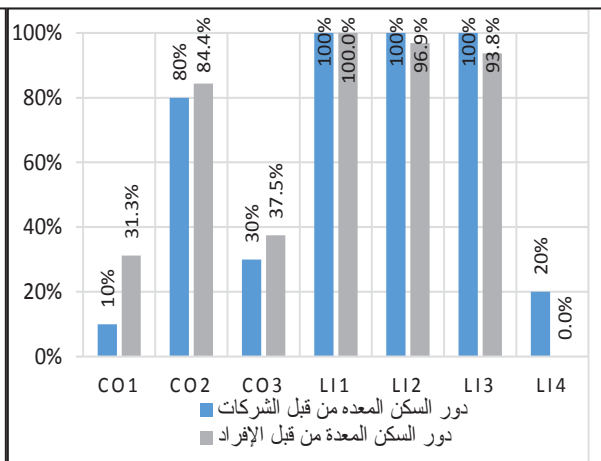
بحرية أكبر للتجريب والبحث عن التفرد والميل إلى ما هو حركي انفعالي، وهو ما شجعت عليه أفكار ما بعد الحداثة «لا تخف من إظهار تعبيرك عن ذوقك الخاص في انتقائك...، إنه بيتك أنت» (Massy, 1990). رافق ذلك ميل نسبي نحو تفضيل المزج بين المواد الحديثة والتقليدية والتشكيلات التاريخية مقارنة بما قامت به شركات التطوير العقاري التي اهتمت باستخدام المواد اللامعة بمقدار الضعف تقريبا مقارنة بالتصاميم الداخلية للدور السكنية للأفراد (شكل رقم 6). وعلى صعيد الأثاث مال الذوق العام للأفراد باتجاه استخدام الأثاث الكلاسيكي أو مزجه بالحديث، بخلاف ميل شركات التطوير العقاري إلى الأثاث الحديث بمواده الصناعية (شكل رقم 7) واستخدام أثاث ذو أشكال غير مألوفاً في بعض الأحيان. ويمكن تفسير ذلك في ضوء اهتمام الأفراد بعكس هويتهم الشخصية المنتمية إلى تراث المنطقة ومحاولتهم للتعبير عن نوع من الشراء، بخلاف الشركات التي تفتقر إلى التعبير عن هوية محددة. كما انعكس ذلك على طبيعة الزخارف التي يفضلها الذوق العام للأفراد؛ حيث كان حضور النحت والزخارف الجدارية حضوراً واضحاً في الدور السكنية المعدة من قبل الأفراد كجزء من اهتمامهم بالماضي وبالتعبير عن الشراء، بينما لم تحظ باهتمام شركات التطوير العقاري. كما أن تزيين الجدران بورق الجدران وما شابه ذلك كان شائع القبول لدى الأفراد مقارنة بالشركات (شكل رقم 8).

للتصاميم التي أنجزتها شركات التطوير العقاري، بالرغم من اعتمادها في جزء كبير من تصاميمها على تكرار الأشكال الهندسية. واستعان الأفراد بالأشكال المحورة والمبسطة عن النباتات والحيوانات والحشرات (مصادر أحياء عضوية) بمقدار الضعف عما نجده في تمثيل الذوق لدى الشركات (شكل رقم 3)، وهذا يعكس ميل المجتمع لعكس مظاهر الترف والغنى الذي ارتبط بذهنيته من خلال المبالغة والتعقيد، ساعياً للمحافظة على نفسه ضمن طبقة اجتماعية علياً بحسب تصنيفات Bourdieu، كما يناسب خلفية عمارة المساكن التقليدية البحرينية التي حضرت فيها الزخارف الجسبية بشكل واسع على الأسطح الداخلية والخارجية (المحاري، 2017). وقد انعكس هذا التوجه على هيئة المشهد الداخلي بصفة عامة؛ إذ كانت التراكيب والهيئات المركبة التي تجمع بين ما هو هندسي وما هو عضوي ذات تفضيل ذوقي عال في الدور السكنية المعدة من قبل الأفراد مقارنة مع الفئة الثانية (شكل رقم 4).

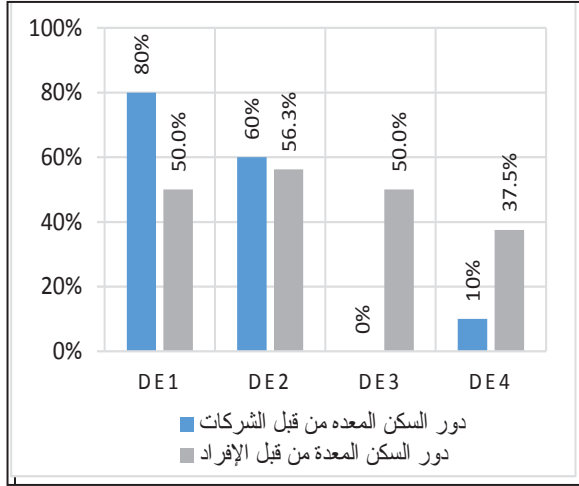
وبينت نتائج الدراسة وجود فارق بمقدار 20% في تفضيل التوزيع العضوي لوحدة الإضاءة في الدور السكنية المعدة من قبل الشركات، مقارنة مع الدور السكنية المعدة من قبل الأفراد. بينما تميز الذوق العام للأفراد بتفضيله لاستخدام الألوان الحركية كالأحمر والبرتقالي في التصميم الداخلي بثلاثة أضعاف ما هو عليه الحال في الدور السكنية المعدة من قبل شركات التطوير العقاري (شكل رقم 5). وهذا يوضح أن الأفراد يتمتعون



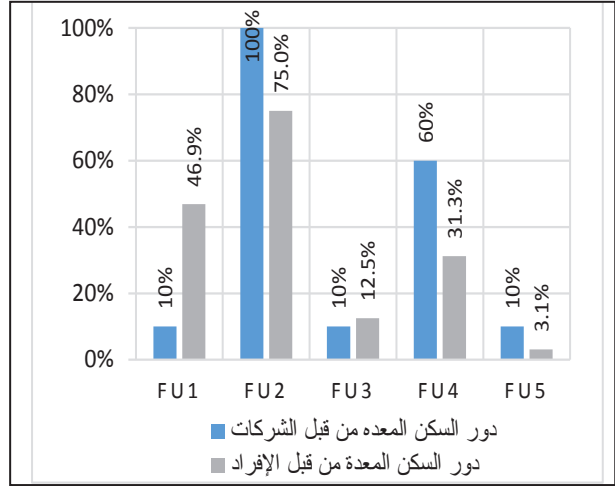
شكل رقم (6): نتائج سمات الذوق على صعيد طبيعة مواد الإنهاء



شكل رقم (5): نتائج سمات الذوق على صعيد اللون والإضاءة



شكل رقم (8): نتائج سمات الذوق على صعيد طبيعة الزخارف والمنسوجات



شكل رقم (7): نتائج سمات الذوق على صعيد طبيعة الأثاث والتأنيث

لتعزيز ذلك. وبرزت خصوصية ذوق الأفراد من حيث الخصائص التصميمية للفضاء الداخلي في اهتمامهم باستخدام تزيين الجدران سواء من خلال النحت البارز أو ورق الجدران إلى جانب الأثاث الكلاسيكي، بينما فضلت شركات التطوير العقاري استخدام المواد اللامعة والأثاث الحديث مع الأسطح الخالية من الزخارف.

الخلاصة والتوصيات

لقد حاولت هذه الدراسة أن تشير إلى بعض الحقائق المرتبطة بالذوق العام في التصميم الداخلي، فهو من الناحية السيكولوجية يعبر عن ميل النفس إلى بعض الأشياء، وهو بمعنى الرغبة أو التفضيل أو القابلية على اختيار الأنسب من السلوك. فالذوق يشكل جزءاً من الحياة يصعب باتفاق الجميع التعبير عنه في الأنماط التصميمية المختلفة، ولكن ذلك لا يعني أنه غير موجود. لقد أظهر هذا البحث أن الذوق يُبنى عبر شبكة من المعلومات تمتد عبر الأوساط الاجتماعية والثقافية والجمالية (العوامل المؤثرة)، حيث تُشكل الجذور الثقافية والاجتماعية الدوافع الحقيقية للسلوك الإنساني، بينما تمثل التفسيرات الذوقية الوسيلة التي تبرر السلوك الإنساني وتدعم شرعيته بحيث يكون مقبولاً ومتوافقاً مع حقيقة العالم الخارجي. وقد أظهرت الدراسة أن الحدائق (متمثلة بشركات التطوير العقاري) قد ابتعدت عن السمات الذوقية العامة المرتبطة بهوية المجتمع في تصميمها الداخلي للدور السكنية، وهي نتيجة

الاستنتاجات

لقد أظهرت نتائج الدراسة فروقاً جليةً فيما يتعلق بعلاقة الذوق العام للتصميم الداخلي للدور السكنية المعاصرة بالأصول والتقاليد بين التصميمات التي أعدت من قبل الأفراد وبين الأخرى التي أنجزت من قبل شركات التطوير العقاري في مملكة البحرين؛ حيث كان التعبير عن الماضي والتقاليد حاضراً في تصميم دورهم السكنية بخلاف التصميم الداخلي المعدة من قبل الشركات؛ إذ إن تشارك الأفراد في البيئة الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية سمح بتوليد خط مشترك في ذوقها بسبب تشابه الظروف، فحتى في حال محاولة أحد الأفراد تقليد الآخر (الأجنبي) تبقى هناك رواسب لصفات ذوقية موروثية متصلة بتلك المجموعة المقلدة والتي تتأثر من التجمعات البشرية وما تنطوي عليها من طرق وتفاعلات، وبذلك يقع المزج بين ما هو متوارث وما هو جديد ومُحدث. وهذا الاستنتاج يتوافق مع ما ذهب إليه عالم الاجتماع الإيطالي Vilfredo Pareto في نظريته في الرواسب والمشتقات. أما على صعيد الخصائص التصميمية للفضاء الداخلي فقد تنوعت الاختلافات الذوقية العامة بين الفئتين على أكثر من صعيد، فبينما كانت تتخذ شركات التطوير العقاري البساطة والنقاء سمة لذوقها، كانت تميل التفضيلات الذوقية للأفراد نحو التعقيد والمبالغة بما سمح لها بإثارة الانتباه وإتاحة مساحة أوسع للتعبيرات الفردية ضمن الإطار العام مستثمراً الألوان الحركية كالأحمر والبرتقالي

هونت، جوزيف. ترجمة: محمدني، محمود. 1978. أسرجة الفن المعماري الحديثة الثلاثة. مجلة آفاق عربية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العدد السابع، بدون تاريخ إصدار المجلة.

والي، طارق. 1990. المحرق: عمران مدينة خليجية. الكتاب الأول، بدون رقم الطبعة، بانوراما الخليج، المملكة العربية السعودية.

والي، طارق. 1992. نهج البواطن في عمارة المساكن. بدون رقم الطبعة، مركز الهندسة، مملكة البحرين.

وطفة، علي أسعد. 2012. الهايتوس في سيسيولوجيا بورديو. مجلة مصر المدنية، استرجع بتاريخ: 19 مارس 2018، الرابط الإلكتروني:

http://www.civicegypt.org/?p=21376#_ednref1

Banz, G. 1970. Elements of Urban Form. McGraw-Hill, New York.

Bourdieu, P. 1984. Distinction: A Social Critique of the Judgment of Taste. Translated by Richard Nice, Routledge & Kegan Paul, USA.

Bourdieu, P. 1990. The Logic of Practice. Translated by Richard Nice, Stanford University Press, CA.

Declan, K., and Maegrit, I. 1987. The Inner City. John Wiley & Sons, New York.

Eric, N. 1962. The Meaning of Beauty. Penguin Books Ltd, USA.

Frascati, M. 1986. Semiotica ab Edendo, Taste in Architecture. Journal of Architectural Education. 40(1): 2-7.

Fuccaro, N. 2000. Understanding the urban history of Bahrain. Critique: Critical Middle Eastern Studies, 9(17): 49-81.

Funch, B. S. 1997. The Psychology of art Appreciation. Museum Tusculanum press, Copenhagen, Denmark.

Gans, D. 1996. Changing highbrow taste: From snob to omnivore. American Sociological Review. 61(5): 900-907.

Hancock, B. 1998. An Introduction to Qualitative Research. Trent Focus Group, Nottingham.

Ipsos MORI. 2010. People and places: Public attitudes to beauty, On behalf of the Commission for Architecture and the Built Environment UK.

تؤكد ما ذهبت إليه دراسة شارك فيها أكثر من ألف شخص في إنكلترا؛ أكدوا أن المباني الحديثة لا تُظهر أيًا من الخصائص التي تعطيهم تقديرًا لبيئتهم المبنية (Ipsos MORI, 2010)، كما أظهر البحث ميل تصميم الأفراد (بخلاف الشركات) إلى التعبير عن الغنى والثراء عبر توظيف التزيين والأشكال الكلاسيكية. إن هذا البحث يقدم فائدة لفهم الذوق العام للمجتمع ويعزز الفرص التجارية لشركات التطوير العقاري في مخاطبة ذوق الفئات المستهدفة، فضلاً عن فائدته على الصعيد الأكاديمي.

المراجع

أبو حطب، فؤاد. 1973. سمات الشخصية والتفضيل الفني. المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، مصر، المجلد 10، العدد 1، ص ص 3-26.

إسحق، محمد عبد العزيز. 1947. الذوق الفني عند إدموند بيرك. مجلة الكاتب المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، المجلد 7، العدد 25.

إسماعيل، علي الدين. 1986. الأسس الجمالية في النقد الأدبي: عرض وتقديم ومقارنة. الطبعة الثالثة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق.

ستولنتز، جيروم. ترجمة: زكريا، فؤاد. 1974. النقد الفني: دراسة جمالية فلسفية. بدون رقم الطبعة، مطابع جامعة عين شمس، مصر.

عبد الحميد، شاكر. 2001. التفضيل الجمالي: دراسة في سيكولوجية التذوق الفني. الإصدار 267، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

عمر، أحمد مختار. 2008. معجم اللغة العربية المعاصرة. الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة.

المحاري، أحمد سلمان. 2017. حفظ المباني التاريخية: مباني مدينة المحرق. بدون رقم الطبعة، المركز الدولي لدراسة وترميم الممتلكات الثقافية، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.

نوبلر، ناثن. ترجمة: خليل، فخري. مراجعة: جبرا، خليل جبرا. 1987. حوار الرؤية: مدخل إلى تذوق الفن والتجربة الجمالية. بدون رقم الطبعة، دار المأمون للترجمة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق.

- Tschumi, B. 2006. Taste in Architecture: Musings on a Possible Personal Linkage between Architecture and Taste (Jubilee Church, Rome – Richard Meier). Retrieved on: 31 -5-2018 from: <http://everything2.com/title/taste+in+architecture>.
- Turner, B. S. and Edmunds, J. 2002. The distaste of taste: Bourdieu, cultural capital and the Australian post-war elite. *Journal of Consumer Culture*. 2(2): 219-239.
- Vitruvius, M. P. 1960. *The Ten Books on Architecture*. Morgan publication, New York.
- Watkin, D. 1977. *Morality and Architecture – The Development of a Theme in Architectural History and Theory from the Gothic Revival to the Modern Movement*. Clarendon Press, Oxford.
- Wittkower, R. 1998. *Architectural Principles in the Age of Humanism*, 5th Edition. Academy, London.
- Yarwood, J. 1999. Traditional building construction in a historic Arabian town. *Construction History*. 15: 57-77.
- Yin, R. K. 2009. *Case Study Research: Design and Methods*, 4th Ed. Sage Publications, Newbury Park, CA.
- Kite, S. 2001. Architecture as virtù: Adrian Stokes, Ezra Pound and the ethics of patterned energy. *The Journal of Architecture*. 6(1): 81-96.
- Massey, A. 1990. *Interior Design of the Twentieth Century*. Thames and Hudson Ltd., London.
- Mumford, L. 2000. *Art and Technics*. Colombia University Press, New York.
- Nervi, P. L. 1966. *Aesthetics and Technology in Building*. Columbia: Harvard University Press, New York.
- Palmer, J., Dodson, M., .1996. *Design and Aesthetics: A "Reader"*, Routledge Publisher, London, pp.6-8.
- Powers, A. 2010. *Beauty: A Short History. People and Places: Essay Four*. Commission for Architecture and Built Environment, UK.
- Scott, G. 2010. *The Architecture of Humanism*. General Books LLC, USA.
- Scruton, R. 1979. *Aesthetics of Architecture*, Princeton University Press, New York.

The Interior Design General Taste Characteristics of Contemporary Housing in the Kingdom of Bahrain

Udai Ali Al-Juboori

Department of Design and Art, Applied Science University
Manama, Kingdom of Bahrain

<https://doi.org/10.37575/b/eng/2018>

ABSTRACT

Architecture is still able to stimulate taste, senses and vision. Taste directs individual behaviour based on a specific reference located in the mental structure of the recipient. Thus, taste mediates objectivity relations and individual behaviours. Accordingly, it legitimizes the arrangements and differentiation (class, symbolic, and cultural) without any apparent clash between classes. Although taste distinction is inherently paradoxical, it has the benefits of reconciling any divergence between recent preferences (fashionable) and the work one genuinely perceives as an outstanding object of taste. This research discusses the characteristics of the interior design public taste of contemporary houses in the Kingdom of Bahrain reveal the most prominent features that make up the overall taste of the interior design, and identify differences in taste between individual's and real estate developers' designs in Bahrain. After conducting a field survey of 42 samples, the study, identified significant differences between the two designs, where the relationship with the past played a central role in this differentiation. The work recommended using its findings to maintain the local identity and improve trade opportunities of real estate developers.

Key Words: Architectural taste, Habitus, Interior architecture.